ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.1].

المسألة اليونانية وانعكاساتها على العلاقات الدولية في البحر الأبيض المتوسط ١٨٢١-١٨٣٠

فاطمة بن عيسى
باحثة دكتوراه تاريخ حديث
جامعة وهران
الجمهورية الجزائرية

مُلَخّص

بدأ نمو العاطفة القومية عند مطلع القرن التاسع عشر وتمثل بحركتين، حركة متجهة نحو المركز والتي دفعت بالشعوب التابعة لدول مختلفة إلى الاتحاد في دولة قومية واحدة والتي نرها في بعض الدول والإمارات الأوروبية، وقد سبَّب الاعتقاد المعروف بمذهب تقرير المصير القومي العديد من الثورات كالثورة الإسبانية والإيطالية والبلجيكية، فأصبحت القومية قوة مهمة في العلاقات الدولية، ودفع هذا بالدول الأوروبية إلى تشكيل قوة عسكرية تعمل على قمع هذه الثورات أينما حلت، أما الحركة الثانية فهي حركة مبعدة عن المركز والتي دعت الشعوب الخاضعة للسيطرة خارجية إلى التحرر من هذه السيطرة، وهي قضية الأقليات القومية والتي نرها في الولايات التابعة للدولة العثمانية، ويجدر بنا الإشارة إلى قضية منها جيد ضرورية وهي اختلافها عن الحركات الأوربية، فإذا كانت الكتابات الغربية في المسألة الشرقية قد عملت على دمج ما يسمى الأزمة اليونانية مع الأزمات الأوربية في البلقان وبشرق أوروبا عن الدولة العثمانية وتم خلالها اختبار التوازنات الأوروبية حول المسألة الشرقية، فالقومية في الإمبراطورية العثمانية أصلاً مستوردة فلسفيًا من غرب أوروبا لكن تطورها داخل الإمبراطورية العثمانية كان مختلفا حيث كانت بذورها وبواعثها أكثر ارتباطًا بالفكرة العثمانية عن أمة معرفة دينيًا من القومية العرقية في أوروبا الغربية، فبدأت قصة خسائر العثمانية لمصلحة القومية الجديدة في القرن التاسع عشر بالثورة اليونانية ١٨٢١ م، وقد كانت أولى الحركات الّتي حدّدت هويتها بقتل وطرد المسلمين من أرضيهم، فقدمت الثورة اليونانية نموذجًا اتبعته الثورات قومية لاحقا ضد العثمانيين، فظهرت حركة محمد علي باشا في مصر وحاول هو أيضا الانفصال عن الدولة العثمانية وانفراده بحكم مصر والتوسع على حسابها وتكوين إمبراطورية عربية يرثها هو وأبنائها بعده، وبذلك بدأت تظهر ملامح الضعف والانهيار داخل الدولة العثمانية التي لم تعد قادرة على الحفاظ على الولايات التابعة لها.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٣٠ يوليو ٢٠١٨
تاريخ قبول النشر: ٠٤ أكتوبر ٢٠١٨

كلمات مفتاحية:

الإمبراطورية العثمانية؛ الثورة الفرنسية؛ الثورة الصربية؛ مؤتمر بطرسبرج؛ معركة نافرين

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0057042

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

فاطمة بن عيسى. "المسألة اليونانية وانعكاساتها على العلاقات الدولية في البحر الأبيض المتوسط ١٨٢١-١٨٣٠"- دورية كان التاريخية.- السنة الثانية عشرة- العدد السادس والأربعون؛ ديسمبر ٢٠١٩. ص٤٨ – ٦٢.

مُقدِّمَةُ

نهاية القرن الثامن عشر- أدرك رجال الدولة في الإمبراطورية العثمانية أن تغيرات كبرى قد طرأت على العالم عامة ومنطقة البحر الأبيض المتوسط خاصة أتاحت للدول الأوروبية أن تتفوق على الإمبراطورية العثمانية في النمو الاقتصادي والسياسي، وبدأ النظام الاقتصادي الرأسمالي في الظهور، خاصة بلدان البلقان وعلى الخصوص بلاد اليونان لأنها كانت أكثر ارتباطًا بالأسواق الأوروبية نتيجة العامل الجغرافي، كما اشتدت حركات التحرر لدى الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية، والتي ارتبط تطورها بالنظام الاجتماعي المتخلف عن الإمبراطورية

العثمانية، حيث لم تعد راغبة في الاكتفاء بوضعها كرعايا من الدرجة الثانية مثل اليونان[١]، فقد سيطر الأتراك العثمانيون على اليونان في القرن الرابع عشر الميلادي، والتي كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية، ومنحوا اليونانيين النصارى حرية العبادة، والحكم الذاتي المحلي، غير أنهم قاموا بثورة ضد الحكم التركي، والتي كانت تمثل كل مظاهر الحركة القومية، فهي احتجاج تلقائي لشعب بقي أجنبيًا عن الإمبراطورية العثمانية؛ فماهي العوامل التي دفعتهم إلى القيام بذلك ؟وما مدى تأثيرها على الوضع الدولي آنذاك؟

أولاً: عوامل قيام الثورة في اليونان ١٨٢١م

١/١-العامل الديني والاجتماعي والاقتصادي:

كانت الدولة العثمانية كلما فتحت قطرًا من الأقطار لا تتعرض لحرية الأديان فيه، كما هو شأن الدول الإسلامية، وذلك راجع إلى عدة ظروف لم تساعد الدولة على نشر الإسلام بالدعوة وتأليف قلوب المسيحين على أهله، لهذا كان بقاء الشعوب المسيحية خاصة الأوروبية منها على دينهم في المملكة العثمانية من أعظم أسباب الضعف الذي دبّ قلب الدولة العثمانية، ولو أنها عملت على نشر لغتها الرسمية والدين الإسلامي حينها في الولايات الأوروبية من خلال تسهيل طرق الهجرة أو بطرق أخرى لما انفصلت عنها معظم الولايات البلقانية[٢]، حيث كان أهلها سبب مشاكل الدولة العثمانية، ولا يخفى أن الشعوب تربطها ثلاث مقومات وهي الدين، واللغة، والجنس، فإذا تمسكت الأمة بمقومتها الثلاث أصبحت قوية يصعب تحطيمها، لكن الدولة العثمانية لم تخرج عن حدود الشرع الإسلامي القاضي بقبول الجزية من المسيحين وأصحاب الملل الأخرى[٣]، وتركهم على دينهم مع حماية أموالهم، وأعراضهم، وأن يكون لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، لهذا لم يبق لأولئك الأقوام مع الدولة العَليّة جامع ديني ولا جنسية تربطهم بحُكمها رابطًا قويًا، وكانت نتيجة ذلك انسلاخ عدة ولايات عنها شيئًا فشيئًا مثل رومانيا والجبل الأسود والبوسنة والهرسك واليونان[٤].

فقد ظل اليونانيون محافظون على لغتهم، وعملوا على فتح المدارس لتربية أولادهم على مبدأ التخلص من الحكم التركي عن طريق غرس البغضاء والكره الشديد للأتراك في قلوبهم، فنشأوا على ذلك، وبدأوا يستعدون للثورة ضد الأتراك.

٢/١-أوضاع اليونانيين قبل اندلاع ثورة ١٨٢١م:

كان اليونانيون يحتلون في الدولة العثمانية موقعًا متميزًا منذ زمن، وكانت غالبيتهم تستوطن منطقة المورة[٥] وجزر بحر ايجه وتساليا، إلا أنهم كانوا بوجه عام منتشرين في كافة أنحاء الإمبراطورية، وكان القسم الذي يعمل منهم بالتجارة والنقل البحري والصرافة وما يشبه ذلك قد أثريَ ثراءً عظيمًا، واتصل بالغرب في علاقات دائمة، وكانت العائلات الأصيلة القاطنة في حي فنار الذي يظم البطريقخانة في إستنبول قد نجحت في تولي بعض المناصب المهمة في الدولة، وهؤلاء كانوا مطلعين على دقائق السياسة الخارجية، وكافة أسرار الدولة فقد كانت وظيفة الترجمة في الديوان الهمايوني من الوظائف التي احتكروها سنوات طويلة ١٦٦٩م- ١٨٢١م كما كان يجري تعين الأمراء على الإمارات ذات الحكم الذاتي مثل الأفلاق والبغدان منهم، وقد دفع هذا الفناريين إلى إقامة القربات عن طريق المصاهرة مع النبلاء المحليين، ونقل ثرواتهم الضخمة بعيدًا عن العاصمة وعن الأعين إلى تلك الإمارات، ويصبحون بذلك أصحاب أملاك عريضة هناك ويحولون الاستفادة بوجه خاص من سيادة الكنيسة الأرثوذكسية في تلك الأماكن، وقام اليونانيين على العموم بتجريد الشعب واستنفاذ ثرواته[٦].

أما حالتهم التجارية فقد بلغت شوطًا بعيدًا، إذ كانت مراكبهم وسيلة الاتصال بين الدولة العثمانية والدول الأخرى، ولا شك أن معاهدة كينارجي التي فتحت موانئ البحر الأسود للتجارة الروسية ساعدت اليونانيين على بناء المراكب الضخمة وتسليحها في ظل الراية الروسية لا سيما أنهم اتخذوا ثغر أوديسا قاعدة لهم ومركزًا لتجارتهم، ولم تكن حالة اليونانيين الأدبية أقل تقدمًا من حالتهم المادية والسياسية فقد رأى أحدهم وهو المصلح الكبير كوريس Corais (١٧٧٤م – ١٨٣٣م) أنه لا يكمل الشعور القومي إلا بلغة يمتاز الشعب بها، ولما كانت لغة اليونانيين خليطًا من اللغات المجاورة، فقد أخذ يطرد الغريب عنها ويعوضه باليوناني العريق، هذا إلى أنه أحيا الآداب الإغريقية القديمة، فأيقظ في مواطنه ذكر تاريخهم القديم، غير أن اليونانيين لم يكونوا في الحقيقة نسلاً مباشرًا للقدامة من الإغريق، فالمصريون اليوم أقرب بلا ريب إلى المصرين الأقدمين من اليونانيين بالإغريق الغابرين[٧].

وكان الفلاحون منهم يتمتعون بنعمة يحسدهم عليها الكثير من أقرانهم في روسيا والنمسا بل في إنجلترا نفسها، فقد كانوا يتمتعون بخيرات أراضيهم ويحتفظون بملكيتها، وإذا كان قد وقع عليهم بعض الحيف في جباية الضرائب فقد كان المسلمون يشاركونهم في ذلك، أضف إلى هذا أن المسلمين كانوا يجندون وحدهم دون المسيحين، فكان الفلاحون في قراهم يتمتعون بشبه استقلال داخلي فيُعينون الموظفين والقسيسين من بينهم، وكذلك كانت الجزائر الإغريقية تتمتع بمثل هذا الاستقلال، فلم يكن يربطها بالسلطة العليا إلا دفع جزية صغيرة وتقديم عدد معين من البحارة للأسطول[٨].

سَلم العثمانيون أمر حراسة الطرق لبوليس أهلي من اليونانيين لمكافحة العصابات التي كانت منتشرة على طول الطرق التي تعترض التجار، وبهذا خلقت النواة التي نشأت منها جيوش الثورة، كما أن الترخيص للمراكب اليونانية بالتسليح لمقاتلة القراصنة في البحار أوجد أداة الكفاح الفاصلة في الحرب العثمانية اليونانية فيما بعد، ويتضح من هذا أن اليونانيين لم يكونوا مستبعدين بل كان لهم في الدولة مركز ممتاز من حيث الثروة والسلطة، وأما الأسباب التي دعتهم إلى الخروج عن العثمانيين فلم تكن لعسر أو لشدة نزلت بهم، وإنما أيقظ اليسر والرخاء اللذان نعموا بهما أحلام واسعة، ولم أعلنت الثورة الفرنسية مبادئ اتحاد القومي، وحرية الأهالي تحرك قلب الشعب اليوناني من جديد كما حركته عوامل النهضة الأدبية[٩]، لكنهم أيقنوا بأنهم لا يقدرون على طلب الاستقلال، إلا إذا كان أبناءهم متعلمون، فعمد أغنياءهم إلى إرسال أولادهم إلى مدارس الدول الأوروبية ليتحلوا بالعلوم والمعارف، وليكونوا رؤساء الأمة ودعاة حريتها في المستقبل، ثم ألفوا عدّة جمعيات لنشر العلم بها بين أفراد الأمة وبث الروح الوطنية، وشكلوا جمعيات سرية، وجعلوا مراكزها في روسيا والنمسا[١٠]، وكل هذه الأمور ساعدت على زرع دعوة (الهلينية) وتطور مراكز القومية اليونانية، وظهور فكرة إحياء البيزنطية من جديد، وهو الأمر الذي مهد السبيل في النهاية إلى ظهور أولى حركات الثورة والعصيان التي انفجرت عام ١٨٢١م في تلك الإمارات[١١].

١/٣-العامل التاريخي:

أخذ الإعجاب بالحضارة الهيلينية ينتشر شيئًا فشيئًا في كل أنحاء أوروبا مع ظهور حركة النهضة، والحركة الإنسانية التي تركز فيها الاهتمام على كل ما هو قديم، فكان مثقفو الأرستقراطية والبرجوازية في أوروبا الذين تعلموا على امتداد كافة المراحل التعليمية اللغة الإغريقية، والأدب، والفلسفة، والميثولوجيا[١٢] لدى الإغريق القديم، وتحولوا كنتيجة لإعجابهم بالهيلينية إلى مدافعين عن الدعوى اليونانية، ولا شك أن السبب الرئيسي- وراء الترحيب العام الذي لقيته الثورة اليونانية في كل أوروبا، وإثارتها لمشاعر فياضة في النفوس هو ادعاء الرعايا اليونانيين الذين يتقاسمون البقعة الجغرافية لتلك الحضارة القديمة بأنهم أصحاب ذلك التراث الثقافي، ونجد أن الأشخاص الذين جاءوا إلى المورة من الأوروبيين المعجبين بالهيلينية، وحاربوا كمتطوعين إلى جانب اليونانيين ضد الأتراك ضد الأتراك كانوا يحملون ذلك الشعور بالإعجاب تجاه الحضارة اليونانية القديمة التي استقرت في نفس كل واحد منهم منذ الصغر، وامتزجت بثقافته التي نشأ عليها[١٣].

٤/١-أفكار الثورة الفرنسية ١٧٨٩:

هزت الثورة الفرنسية القومية اليونانية، وهي لا تزال تجهل نفسها، وفي الحقيقة إن تدريب هذه الأمة على الشعور بنفسها أتى من الخارج، وأول جهد بذل لفهم الدولة الإغريقية وتحقيق هذه الأمة كان من الخارج أيضًا، ولذا تمتاز الحركة اليونانية بالجمع بين الدفع الخارجي، والضغط الداخلي، فكانت الثورة الفرنسية فرصة لأول حركة قومية في اليونان حيث انتشرت أفكارها بشكل يصعب تحديده، وإمساكه، لأن انتشارها كان بمثابة عدوى، فكانت أفكار الثورة الفرنسية تصل إلى اليونانيين بواسطة ثلاث عوامل وهي كالآتي:

العامل الأول: عن طريق الإمبراطورية النمساوية لأن مدنها الكبرى كانت تحتوي على الكثير من اليونانيين، حتى أن الجالية اليونانية في فيينا كانت بأعداد كبيرة وغنية، وتضم الكثير من التجار، ويضاف إلى ذلك أن الحكومة النمساوية اعترفت في نوفمبر ١٧٨٧م بوجود الجالية اليونانية كوجود مشروع، ولم يقلق وجودها الإمبراطور بعد أن ألفى فيها وسيلة للتأثير والتدخل في شؤون الإمبراطورية العثمانية، وفي الشهر أكتوبر ١٧٩٦م اعترف رسميًا بوجود الكنيسة اليونانية في فيينا، وسمح في عام ١٨٠٤م بافتتاح مدرسة إغريقية رسمية، وكان اليونانيون في فيينا يمدونها بالمال من أجل تعليم اللغة والأدب اليوناني لأطفالهم، فغدت فيينا مركزًا للقاء عدد عظيم من المثقفين ورجال الفكر اليونانيين، كما وجد

فيها مراكز يونانية للنشر، وكانت على اتصال بمفكري إمارتي الأفلاق والبغدان، وكان وضعهم القانوني كالنمساويين يتيح لهم سهولة إقامة علاقات وروابط عكس الإمبراطورية العثمانية، ولذا كانوا بفضل الجوزات النمساوية التي يحملونها يستطيعون التجول في سائر أنحاء الإمبراطورية النمساوية و حتى العثمانية بأمان واطمئنان[١٤].

وقد أصبحت فينا أثناء الثورة الفرنسية نقطة توسع للأفكار الفرنسية ففيها أسست أول جريدة يونانية، وأسس أيضًا الأخوان يوليوس ماركيديس وهما يونانيان من مدينة ماكيدونيا جريدة إيفيميريس، وقد ظهر أول عدد منها في ٣١ ديسمبر ١٧٩٠م، وصدر برسم يمثل بعث اليونان الذي يظهر في أول مقال له يتوجه إلى صديقه القارئ بالعبارة التالية:" ها هي الجريد المنتظرة الموعودة منذ زمن طويل كتبت بلغة شعبية، تنمو كالنبات الصغيرة شيئًا فشيئًا، وأخيرًا نحمل ثمارها المفيدة"، وكانت الإيفيميريس تصدر مرتين في الأسبوع بأربع أو ثماني صحائف من الحجم الكبير، ثم بالصحائف المتوسطة من ١٦ إلى ٢٠ صحيفة، وفي عام ١٧٩٣م سميت بـ" مجموعة أهم الحوادث المعاصرة وأصدقها في العالم أجمع، تلقفت بدون ملل على منوال النحلة" وتقول أنها " لا تقبل بأن تكون أمتنا المجيدة وحدها الأمة التي أضاءت العالم بعقلها وعلومها مجردة من الصحافة"[١٥].

ومن الطبيعي أن تصطدم الجريدة ببعض الصعوبات كالرقابة النمساوية، والسلطات التركية، ولذا اضطرت الإيفيميريس أن تهذب أعداءها التي تمر بالإمبراطورية العثمانية ولا تتعرض لأي خبر يخص الإمبراطورية العثمانية ، ومن جهة أخرى كان محرروها باعتبارهم مراقبين من قبل الرقابة النمساوية مضطرين للامتناع عن كل تصريح يتناول الحرية، ولذلك كانوا يقومون بدعايتهم بشكل دراسات تاريخية تذكر دائما بالحوادث الهامة في التاريخ الإغريقي ويمجد الجدود ويُعلِمون قراءهم بالحوادث الثورة الفرنسية مكتفين بتسجيلها، فهم يعرضون الحوادث العظمى للثورة كالإعدام في عهد الإرهاب ومغامرات الجنود الفرنسيين، ويلقنون قراءهم درسا في الجمهورية، وذلك بنشر وتحليل مناقشات المجالس الفرنسية في حقوق الإنسان، وتحليل القرارات أو الدساتير الفرنسية، وهكذا وجدت رابط أو صلة بين اليوناني في النمسا واليوناني في الخارج، فقد كانت هذه الجريدة وسيلة تربية ونضال بشكل حذر على قدر الإمكان ودعاية ناجعة، وقد نبهت تقارير السلطات الضابطة إلى هذه الدعاية وأظهرت الروح الثورية وأفكار الفرنسية التي كانت تنتشر بواسطة هذه الجريدة[١٦].

العامل الثاني: وقد كانت أيضًا الأفكار الفرنسية تصل إلى اليونانيين مباشرة عن طريق أصحاب السفن والملاحين اليونانيين الذين كانوا يمونون الموانئ الفرنسية، أو الموانئ المحتلة من قبل فرنسا، عندما تحصروها الأساطيل الإنجليزية والنمساوية وبعدها الروسية، حتى أن بعض هؤلاء الملاحيين اشتركوا فيما بعد في الحركة الثورية اليونانية مثل ميأوليس، فقد كان هؤلاء الملاحون يترددون على الموانئ الفرنسية ويتلقون أفكار الحرية، وعندما يعودون إلى بلادهم يحدثون بما رأوا وشاهدوا وسمعوا، فكانوا بذلك دعاة للثورة، وكما قال أحد اليونانيين:" إنهم يبيعون الحنطة والحلو ويأخذون بالمقابل مفاهيم الحرية ومبادئها"[١٧]، ونجحت دعايتهم في اليونان لا سيما أنها كانت مطابقة للنهضة الفكرية، والجهد العام لإحداث المدارس آنذاك، وكان بعض هؤلاء الملاحين والتجار عملاء سياسيا ومخبرين، ودعاة إلى جانب فرنسا عام ١٧٩٢م[١٨].

العامل الثالث: انتقلت أفكار الثورة الفرنسية كذلك بواسطة المحافل الماسونية[١٩]، فقد تأسست المحافل الماسونية اليونانية في أوديسا[٢٠]و بوخارست[٢١] وباريس وبعض مدن ألمانيا، وانتسب أكثر اليونانيين المقيمين إلى هذه المحافل، وكانت موجودة أيضًا في الأراضي العثمانية في إقليم تساليا، حيث سمحت لليونانيين بلم القوميين والدعاية لاسيما أن سر الماسونية صالح لهذه الدعية، والملاحظ أن مَنْ يشارك في جمعية ١٨٢١م كانوا ماسونيين، وما يدل على قوة الدعاية قلق بطريركية القسطنطينية، فقد كانت البطريركية موالية للنفوذ الروسي، ولأن حكومة هذه الأخيرة أرثوذكسية، ولها علاقة مع الفناريين الأغنياء، فانتابها القلق من نمو الأفكار الفرنسية التي تنشرها المحافل الماسونية، والأفكار الديمقراطية التي تشكل خطر على هؤلاء الملاكيين الأغنياء والتجار والأرستقراطيين الفناريين[٢٢].

وعلى هذا النحو تأثرت بعض المناطق اليونانية بالأفكار الثورة الفرنسية، وتأسست فيها مراكز تعمل على نشرها، ويظهر هذا التأثير من خلال الغليان الشديد التي شاهدته اليونان في عامي ١٧٩٦م و١٧٩٧م، وكان شعبها لا ينتظر سوى الإشارة ليقوم بالثورة، ويطالب بالاستقلال.

١/٥-الثورة الصربية:

ثـار الصربيون ضـد الدولـة العثمانيـة لجملـة مـن الأسباب وهي كما يلي:

١. فكرة القومية التي نشرتها الثورة الفرنسية في كافـة أنحـاء أوروبـا، وانتقـال شرارتهـا إلى الأقـوام المسيحية التابعة للدولة العثمانية.

٢. معاملـة الانكشـارية بوجـه خـاص للمسـيحين البلقان.

٣. سحب الأراضي من القرويين الصربيين[٢٣].

٤. كان أعيان بعض رعايا الدولة من النصارى الذين قـاموا بـدور قيـادي في حركـة العصـيان فـيما بعـد يشتكون دائمًا من السلطات، والإدارة المركزية التي وفرت لهم كل الامتيازات الاقتصادية والإدارية، وتتمثل هـذه الشكاوي في انتـزاع الأراضي مـن بـين أيـديهم، ورفـع الضرائب التـي كانـت تحصـل منهم إلى معـدلات عظيمة أو رفع ضغوط الجند عنهم[٢٤].

٥. ولمـا بلـغ رؤسـاء ثـورة الصرب خـبر معاهـدة بوخارست القاضية بإرجاعهم إلى سلطة الدولة العلية المطلقـة، اشّـتد غـيظهم، ولم يقبلـوا الرجـوع إلى حالتهم الأصلية، وثاروا من أجل الدفاع عن استقلالهم، فسَيرت إلـيهم الدولـة جيوشـا، وبهـا أخضـعتهم إلى سـلطانها قهـرًا[٢٥]، وعملـت عـلى تـأديبهم[٢٦]، وعـاد الموظفون العثمانيـون إلى مراكـزهم كـما كـانوا قبـل الثـورة، أمـا زعـماء الثـورة فقـد هـاجروا إلى النمسـا، والمجـر منظـرين أول فرصـة لإهاجـة الأمـة ثانيـة طلبًـا للاسـتقلال، لكـن هـؤلاء الـزعماء الثـورين بقـي مـنهم شـخص في بـلاده يـدعى مليـوش اوبرينـوفتش حيـث أظهر ولاءه للدولة حتى عينته شيخا للبلدة في إحدى القرى، وظل ينشر أفكـار الثـورة في أوسـاط الأهـالي، ويبث فيهم روح الحرية حتى إذا أنس منهم الاستعداد للقيام كرجل واحد، فانتهز برينوفتش فرصة عيد الزحف في سنة ١٨١٥م الذي يحتفل به المسيحيون في يـوم الأحد السباق لعيـد الفصـح[٢٧]، حيـث كـان جميـع أهـالي قريته المجاورة مجتمعين، ونشر بينهم لواء العصيان، ودعاهم إلى الثورة فلبوه بسرعة، وانضم إليـه جميـع الأهـالي، وعـاد المهـاجرون إلى أوطـانهم، وامتـد العصيان إلى جميع أنحاء بلاد الصرب[٢٨].

فاتخـذت الانتفاضـة الصربـية بشـكلٍ عـام حـرب العصابات[٢٩]، فانشغلت بها الدولة، ولم تلبث أن اشتدت بفضل المساعدات العسكرية التي أمدّتها بهـا روسـيا أثناء حربها مـع الدولـة العثمانيـة (١٨٠٦- ١٨١٢)، غـير أن معارضـة النمسـا لإقامـة دولـة صربيـة عـلى حـدودها، ودخـول روسـيا في حـرب مـع فرنسـا قـد مـنح الفرصـة للدولة العثمانية أن تمتنع عن تطبيق المادة المتعلقة بالصرب في معاهدة بوخارست، وكبح جـماح الانتفاضـة الصربية في أكتـوبر ١٨١٣م، ولم تلبـث هـذه الأخـيرة أن اشتعلت من جديـد عقـب انتخـاب مليـوش اوبرينـوفتش أمـيرا للأمـراء (بـاش كنـز) في جويليـة ١٨١٥م، ولمـا تعرضـت فرنسـا لهزيمـة فادحـة في حملتهـا عـلى الروس، ولم يعد نابليون يمثل خطرًا على أوروبا، وأتـاح ذلـك لروسـيا فرصـة الاهـتمام بشـكل جـاد في هـذه المسألة، أما الدولة العثمانية التي تجنبت التـدخل في أمـر كهـذا، بـل وخافـت مـن أن تصـبح تلـك المسـألة موضـوعًا في المفاوضـات، وابتعـدت كـذلك عـن المشاركة في مؤتمر فيينا لهذا السبب[٣٠].

رأت الدولة العلية من المناسب الاعـتراف بميلـوش اوبرينوفتش أميرًا، وقبلت أن تمنح الصرب حـق الإمارة ذات حكم ذاتي سنة ١٨١٦م، فوافق اوبرينوفتش ذلـك بشرط أن لا تتـدخل الدولـة في شـؤونهم الداخليـة، ولا في تحصـيل الضرائب، بـل عينـت لإدارة الـبلاد وتوزيـع الضرائب وتحصيلها مجلس مؤلف من اثنى عشر عضـوا، ينتخبهم الأهالي من أعيان الأمة، وهم ينتخبون رئيسًا لهم من بينهم يكون كحاكم عمومي، وتكتفي الدولة بالمراقبة واحتلال الحصون والقلاع، فقبل الباب العـالي هذا الشرط، وعين مرعشلي باشا واليًا للصرب، وأعطيت إليه تعليمات شديدة تقضي عليـه بمعاملـة الصربيين بـالرفق واللـين كي يحـافظوا عـلى ولاء الدولـة، ولا يسعوا في قطع ما بقـي لهـم مـن روابـط وكـان ذلـك في سـنة ١٨١٧م، ثـم عـين مليـوش برونـوفتش رئيسًـا لمجلـس الصرب، وهـو بمثابـة مجلـس النـواب الآن، وأطلقوا عليه اسم سـوبرانيا، وصـارت الصرب مسـتقلة تقريبًا، واستبد برونوفتش كملـك مطلـق التّصرف، ولم يكن له منافس في السلطة سـوى قـره جـورج[٣١]أكبر زعماء الثورة، فأصّر على قتله، وتربص له حتـى إذ حضر جورج متخفيًا إلى صربيا قاصدًا بـلاد اليونـان بنـاءً عـلى طلب زعمائها، فأرسل إليه اوبرينـوفتش مـن قتلـه، ثـم أرسـل رأسـه إلى الأسـتانة علامـة عـلى حسـن ولائـه، واخلاصه للدولة العلية صاحبة السيادة الاسـمية عـلى بلاده.

١/٦-القساوسة اليونانيين وإعدام جريجوريوس:

بعد حصول روسيا بموجب معاهـدة كينـارجي عـلى حق حمايتها للمواطنين الأرثوذكسية من رعايـا الدولـة العثمانيـة أصـبح اليونـانيين يحلمـون بإقامـة دولـة مسـتقلة، فشـكلت جمعيـة هاريتاريا السرـية[٣٢] في

أوديسا عام ١٨١٤م لتحقيق هذا الهدف، أما بطريركية "فنر" التي أحياها السلطان محمد الفاتح وأعطها الحرية وكل حقوقها، فقد كان بطريقها وأشراف فينر من الروم يساعدون هذه الجمعية[٣٣]، ومن أهم أعمال هذه الأخيرة ما يلي[٣٤]:

- إنشاء جمعيات سرية في كل أنحاء الدولة العثمانية، والقيام بتسجيل أغنياء الروم، وأكثرهم نفوذاً في هذه الجمعية من أجل ضمان المساعدات المادية والمعنوية.
- تأسيس شركات تجارية لتأمين مصدر مالي للجمعية السرية.
- استفادة من الشباب اليوناني الذين يدرسون في أوروبا.
- العمل على تأمين مساعدة من الدول الكبرى.

وامتدت شبكات الجمعية السرية إلى بلاد مورة وخارجها، وعملت المكائد على التخلص من العوائق الداخلية، وأعلنت تمردها عام ١٨٢١م، فأصبح الكثير من القساوسة ورجال الدين أعضاء أصلين في هذه الجمعية التي أسست من أجل مناهضة العثمانيين، فقام هؤلاء باستخدام نفوذهم على الشعب وتحريضهم على الثورة[٣٥]، وكان جريجوريوس بطريق باتراس الذي أشعل فتيل الثورة اليونانية مرتبطًا بهذه البطريركية[٣٦].

فوجئت الدولة العثمانية عندما قام الثوار اليونانيون بالسيطرة على جميع أنحاء مورا في نوفمبر ١٨١٢م لأنها كانت قد أعطت لبطريق فنر باعتباره رئيس البطريركية العالمية جميع الامتيازات كما قامت بحماية الأرثوذكس من جور وظلم الكاثوليك وتعسفهم بل حتى محاولة إفنائهم، وقد ثبت وجود علاقات سرية وقوية بين البطرق جريجوريوس الذي جيء به بطريقًا للمرة الثالثة وبين هذه الجمعية السرية، وكذلك بينه وبين المسؤولين الروس، ودليل ذلك رسالته التي بعثها إلى ألكسندر قيصر- روسيا والتي جاء فيها: "ليس من الممكن تحطيم الأتراك من الناحية المادية، لأن الأتراك قوم صبورون، ولديهم قابلية مقاومة كبيرة ومغرورون ولهم عزة وكرامة نفس، وهذه الصفات تنبع من تعلقهم بدينهم ورضائهم بالقدر ومن القوة تقاليدهم ومن شعور الطاعة لرؤسائهم، لذا يجب أولاً تحطيم وإزالة شعور الطاعة هذا، وقطع روابطهم المعنوية وإضعاف متانتهم الدينية، وفي اليوم الذي تهتز وتضعف معنوياتهم هذه عندئذ يمكن عزلهم عن قدراتهم الأصلية التي تقودهم نحو الانتصارات، كما يمكن آنذاك هزيمتهم بالقوى المادية، وإن الانتصارات على الدولة العثمانية في ساحات الحرب لا تكفي للقضاء على الدولة العثمانية، ما يجب فعله هو إنجاز هذا التخريب وإتمامه دون أن يحس به الأتراك"[٣٧]، وقد علق الجنرال إغناتييف السفير الروسي لدى الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد العزيز على هذه الرسالة في قوله:" لقد شاهدت صدق تحليل هذه الرسالة، وصدق تشخيصها عندما كنت أمارس وظيفتي"[٣٨].

وحينما ثبتت خيانة جريجوريوس استدعي إلى الباب العالي من قبل الصدر الأعظم حيث تم استجوابه أولاً، واتهم بالخيانة العظمى في ٢٣ أفريل ١٨٢١م[٣٩]، وعلقت لافتة الخيانة على رقبته، وشنق أمام الباب الوسط للبطريركية، وبعد أن بقي معلّقا على المشنقة ثلاثة أيام قام اليهود برمي جثته في البحر، لكن بعض المؤرخين يرون بأنه مع كون هذا البطريق يستحق أكثر من هذا العقاب، إلا أن شنقه في ذلك الوقت الحرج قد عاد بالسلب على الدولة العثمانية وأفاد روسيا، لأن جميع الأرثوذوكس انحازوا ضد الدولة العثمانية بسب حمايتهم الدينية، وهناك من يرى بأنه لو تمت الحيلولة دون إعدامه لما انتشرت الثورة اليونانية ذلك الانتشار الكبيرة، وقد وعد الروم بأنه مالم يتم شنق رجل دولة تركي فلن يفتح هذا الباب، ولا يزالون مستمرين على ابقاء هذا الباب مغلقًا، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت هذه البطريركية وكرًا لوضع الخطط ضد الشعب التركي المسلم[٤٠].

ثانيًا: أحداث الثورة اليونانية

مرت الثورة اليونانية بثلاث مراحل أساسية وهي كالآتي:

المرحلة الأولى: انطلقت الشرارة الأولى للثورة في بلاد البغدان، وقد شجع قيصر روسيا على القيام بها من خلال مساندته، وكان غرض الثوار من ذلك تحرير اليونان من السيطرة العثمانية، لكم موقف روسيا سرعان ما تغير إذ أن توقيع الإسكندر لبرتوكول تروباو في نوفمبر ١٨٢٠م مع مترنيخ حامل لواء المحافظة على الأسر المالكة القديمة ضد أي انتفاضة، كان بعني بها مناهضة كاملة لكل حركات التحرر في الدول المستعمرة، كمناهضة للحركة اليونانية بزعامة ابسلانتي، ومن ثم كان على القيصر ألاّ يتعامل مع الثوار، وإن أراد ذلك فيكن سرًا بعيدًا عن أعين مترنيخ

المدافع عن الحكومات الشرعية، وكان موقف روسيا المتغير من بين العوامل التي أعاقت الثوار، ثم ظهر سبب أخر ساعد على فشل الحركة الناشئة حيث قامت الثور في الولايات الدانوبية وبعيدًا عن أرض المورة (اليونان)، وكان ملاك أراضيها من الفلاحين الولاشين وهم طبقة محكومة من قبل اليونانيين، فكان هؤلاء الفلاحون يكرهون اليونانيين أكثر من العثمانيين[٤١].

والسبب الثالث كان جنسيًا إذ أن سكان الأفلاق والبغدان ذو أصول الرومانية، وبالتالي هم يختلفون جنسيًا عن اليونانيين سكان المورة، وكان هناك سبب آخر أدى إلى فشل المحاولة الأولى حيث كان على ابسلانتي التحرك بسرعة صوب بوخارست واحتلالها قبل أن يتقدم الزحف التركي لمقاومته ومطاردته، لكنه تلكأ وتباطأ، وأضاع الوقت في إحدى الولايات أثناء احتفالات ملكية فيها أضاعت من حوله الأنصار، ثم أنه شجع المجازر الدينية بين المسلمين والمسيحيين التي ضاع ضحيتها الألوف من المسلمين، مما أدى إلى انصراف الجماهير من حوله أيضًا، وبدلاً من أن يصدر القيصر الروسي أمرًا بترك السلاح على الفور في تلك الفترة التي كان فيها مركزه ضعيفًا، رفض ابسلانتي الإذعان إلى مطلب القيصر الروسي لأنه كان يعتقد أن روسيا تؤيد السلام في أوروبا، ولا قبل لها بالحرب مع الدولة العثمانية، وفي الوقت نفسه انقضت القوات هذه الأخيرة على الثوار اليونانيين المنقسمين في معركة وراجا شان في ١٩ يونيه ١٨٢١م، وانهزم الثوار في الأفلاق وفر ابلانستي إلى حدود ترنسلفانيا إلى النمسا[٤٢].

وبعد هزيمة الأفلاق استطاع الأتراك إخماد الثورة في البغدان بسهولة، خاصة وأن روسيا لم ترسل أية مساعدات للثوار، وتم عزل حاكم البغدان المناصر لابسلانتي، وزحف الثوار إلى باس، وهناك زحفوا إلى ستالينى وعسكروا هناك وحاولوا الدفاع عن أنفسهم، ولكنهم منوا بالهزيمة الكاملة، وبذلك أخمدت الثورة في الشمال اليوناني، وقتلت فكرة إحياء الإمبراطورية إلى الأبد، أما ابسلانتي فقد اعتقله مترنيخ، وألقاه في السجن لمدة سبع سنوات حتى لقي حتفه في عام ١٨٢٧م في فيينا[٤٣]، لكن مانتران فيذكر كلام غير ذلك:"...وجرى قتله في ٢٤ جانفي ١٨٢٢م، الأمر الذي يضع حدًا لمحاولة الانفصال..."[٤٤].

المرحلة الثانية: استطاعت الجمعية السرية سابقة الذكر خلال مدة قصيرة أن تفتح العديد من الفروع في الأراضي العثمانية، ونجحت في استقطاب البطريق اليوناني، وأمراء الأفلاق، والبغدان، والعائلات اليونانية الثرية من سكان الفنار ليصبحوا أعضاءً فيها، وبلغت الاستعدادات التي قام بها اليونانيون نقطة الانفجار عندما وقع فراغ في السلطة نتيجة لإعدامعلي باشا مع أبنائه، وهو الذي كان يمسك بزمام الأمور في يانيه بوجه خاص، ولم يسمح لليونانيين بالالتفات يمينًا أو يسارًا، وقد أشعل قيصر روسيا أولى شرارات الثورة في الأفلاق ياور في فيفري ١٨٢١م، وكان في الحسبان أن الدولة العثمانية طبقًا لمعاهدة بوخارست لا تستطع أن تتدخل عسكريًا دون إذن روسيا في إخماد تلك الثورة المقررة إشعالها في الأفلاق والبغدان كما كان من المتوقع أن يشارك البلغار والصرب هم الأخرون في الثورة إلى جانب الرومان، وفي تلك الأثناء اشتعلت جبهة أخرى لثورة ثانية في المورة تزعمها ألكسندر يدعي ديمتريون في مارس ١٨٢١م[٤٥]، ولم تستطع الثورة في المملكتين ـ الأفلاق والبغدان ــ أن تنتشر بين طبقات الشعب لأن الشعب اليوناني لم يكن يرغب في إيراق دمائه في سبيل الدعوة الإغريقية كما لم يكن هناك ما يدعو أبدًا لتفضيل الحكم اليوناني على السيادة العثمانية هذا في الوقت الذي لم تتحقق فيه ثورة البلغار والصرب وانهزم ألكسندر هو وقواته بعد مدة قصيرة كما لم يصل العون المنتظر من القيصر- بايفار ومن الأمير مترنيخ فقد كان هذا الأخير يؤكد على ضرورة تأييد ودعم الحكام الشرعيين في مثل تلك الثورات، فأمر بالقبض على ألكسندر وسجنه، أما الثورة التي اشتعلت في المورة فقد كانت تعتمد على قاعدة شعبية عريضة ولهذا انتشرت خلال فترة وجيزة ولم تلبث في نهاية أفريل ١٨٢١م أن عمت في وسط اليونان وجنوبها، وفي تلك الظروف تعرض الأهالي المسلمين الذين يعيشون منذ عدّة قرون فوق تلك الأرض لمجازر وحشية واسعة واستهدفتهم عمليات القتل الجماعي ونهب أموالهم وأراضيهم، وأثارت ثورة اليونان غضبًا شديدًا في إستنبول، حيث فقد على إثرها أمراء الفنار اليونانيون كل ما كانوا يحظون به من تقدير وسلطة، إذ كانوا حتى ذلك الوقت يتمتعون باحترام كبير وعاشوا حياة الرخاء والرفاهية وشغلوا مناصب هامة في الدولة[٤٦].

مؤتمر بطرسبرج ١٨٢٣م:

انعقد المؤتمر كنتيجة للثورة اليونانية ضد الحكم العثماني من أجل الاستقلال، وقد نظر مترنيخ إلى هذه الثورة على أنّها تهديد للحكم الملكي، بغض النظر عن على أن الملك القائم على هذا الحكم هو سلطان

مسلم، وكان مترنيخ يرى أن يقوم بعمل من شأنه تأييد موقف السلطان العثماني كي يحول دون تدخل روسيا الأرثوذكسية ضد الدولة العثمانية المسلمة لصالح اليونان الأرثوذكسية، وعلى أيّة حال فإن انشغال الاوتوقراطيات الأوروبية الكبرى بالمسألتين الإيطالية والإسبانية قد حال دون مناقشة المسألة اليونانية خلال مؤتمر ليباخ وفيرونا[٤٧] وبحلول عام ١٨٢٣م دعا قيصر- روسيا القوى الكبرى إلى مؤتمر في سان بطرسبرج[٤٨] لمناقشة المسألة اليونانية وحسمْ النزاع على أساس تقسيم اليونان إلى ثلاث ولايات تمنح كل منها الحكم الذاتي تحت سيادة السلطان، ولكن النمسا رأت هذا التقسيم مجالاً لبسط نفوذ روسيا على الإمارات الجديدة، أما بريطانيا فقد خشيت أن يؤدي المؤتمر إلى تطبيق المبادئ التي وضعت في مؤتمر تروباو، ولما كانت تركيا واليونان قد أعلنتا أنهما لا تتقيدان بقرارات الدول[٤٩]، وتضاربت وجهات النظر فانفض المؤتمر من غير اتفاق بين الأعضاء في هذا الصدد.

وعلى إثر هذا تحطمت فكرة التظافرالأوروبي، فقد راح القيصر انطلاقًا من مصالح روسيا الذاتية يتفاهم مع كل من إنجلترا وفرنسا على أساس استقلال اليونان، في حين وقفت كل من النمسا وبروسيا موقفًا مناوئًا للموقف الروسي، وهكذا اتفق ثلاثة من الحلفاء القدامى على التدخل لحساب شعب متمرد على صاحب حق شرعي، وهم إذ ناصروه فإنما أيدوا مبدأ حق تقرير المصير، خارجين بذلك عن مبدأ الحلف الأول، فقضي- على مصير الحلف إلى الأبد[٥٠].

ونستنتج أن دول الحالف لم تستطيع المثابرة على سياسة التحالف بعد أن تخلصت من الخطر المشترك، فراحت كل دولة منها تسترد حريتها بالعمل في الميدان الدولي وفق ما تقتاضيه مصالحها حتى وإن تعارضت هذه المصالح مع مصالح غيرها من الدول الحليفة، فقام التضافر الأوروبي على أساس تدعيم مبدأ الحقوق الشرعية، ومقاومة مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، ثم ما لبث المتحالفون أن تفرقوا عندما زال الخطر المشترك، الكل يسعى وراء مصالحه مؤيدًا الحق الشرعي أو حق تقرير المصير حسبما تقتاضيه مصلحته، وعلى هذا الأساس نستنتج أن العلاقات الدولية في الماضي أو الحاضر أو حتى في المستقبل لا يحكمها سوى قانون واحد وهو قانون المصلحة.

ولما رأى السلطان محمود الثاني ما ألم بالمسلمين وبجيوشه في هذه الحروب المستمرة، والمناوشات الغير منقطعة، وثبات اليونانيين أمام الجيوش العثمانية، واعتصامهم بالجبال، وعدم قدرة الجنود على اللحاق بهم في الجبال الوعرة، فأحال مهمة محاربتهم إلى محمد علي باشا والي مصر، نظرًا لما أبداه هو وولده إبراهيم باشا في محاربة الوهابيين من جهة[٥١]، ومن جهة أخرى كان يمتلك جيشًا وأسطولاً حديثين على الطراز الأوروبي[٥٢]، وقد استجاب محمد علي لهذا الطلب، وذلك بشرط الاعتراف به واليًا على مدينة الكريت[٥٣]والمورة [٥٤]، فأصدر علي باشا أوامره باستعداد سبعة ألف جندي كلهم مصريون من المشاة وعدد من الفرسان والمدفعية، وعين بكر أولاده ابراهيم باشا، وأرفقه بسليمان بيك، فانطلقت هذه الإرسالية من ثغر الاسكندرية في ١٦ جويلية ١٨٢٤م، فسارت السفن باسم الله مجرها إلى جزيرة رودس للاجتماع بالأسطول العثماني، ثم ترك ابراهيم باشا فيها سليمان بيك الفرنساوية مع حامية كافية لقمع الثائرين فيها، ولم يلبث ابراهيم باشا أن أمد مدينة كورن التي يحاصرونها اليونانيين بالرجال والذخائر في ٢٣ مارس ١٨٢٥م، ثم فتح مدينة نافرين[٥٥] الشهيرة بعد حصار شديد، ودخلها منتصرًا في ١٦ ماي ١٨٢٥م، وبعد مدّة قصيرة فتح مدينة كلاماتا[٥٦]، وفي ٢٣ ماي احتل مدينة تريبولتسا[٥٧]، ثم استدعاه رشيد باشا الذي كان محاصرًا في مدينة ميسولونجي[٥٨] لمساعدته على فتحها، وكانت قد أعيته في ذلك الحيل لوقوعها على البحر ووصول المدد إليها تباعًا من جهة البرّ، فقام إبراهيم باشا ملبيًا دعوته[٥٩]، فاستولى عليها، وجعلها أساسًا لحركاته الحربية[٦٠] في ١٣ أفريل ١٨٢٦م[٦١]، وفي ٥٠ جوان فتح العثمانيون مدينة أثينا وقلعتها الشهيرة أكروبول رغم الدفاع اليوناني المستميت بقيادة القائد البحري الإنجليزي كوشران[٦٢]، وتم تعين إبراهيم باشا واليًا على مدينة الكريت، لكن الثورة اليونانية لم تنته عند هذه النقطة، وهذا ما تؤكده الرسالة التي بعثها علي خوجة زادة وكيل الجزائر في خانية بجزيرة كريت إلى حسين باشا في ٣٠ جانفي ١٨٢٧م[٦٣].

المرحلة الثالثة: بينما يستعد إبراهيم باشا لفتح ما تبقى من بلاد اليونان في أيدي الثائرين، إذ تدخلت الدول الأوروبية بحجة حماية اليونانيين المسيحين في الظاهر، ولفتح المسألة الشرقية وتقسيم أراضي الدولة العثمانية بينهم، ومن مظاهر هذا التدخل لوْم

روسيا أكثر من مرة مساعدتها الثائرين وحماية من يلتجئ منهم إلى بلادها، لكنها لم تصغي لهذا اللوم بل استمرت في مساعدة اليونانيين وهي احتلال الأستانة وجعلها مركزًا للديانة الأرثوذكسية، مثل مدينة روما التي تعتبر كمركز للكاثوليكية، كما اهتم نقولا الأول[٦٤] بمسألة اليونان بعد وفاة الإسكندر لأول متبع في ذلك خطة سلفه السياسية، وباتحاده مع إنجلترا التي كان قصدها منع الحرب بين الدولتين اضطر الباب العالي إلى تصديق على معاهدة آق كرمان Akkerman[٦٥]في ٠٧ أكتوبر ١٨٢٧م، جاءت هذه المعاهدة لتوضيح معاهدة بوخارست سنة ١٨١٢م، وبموجب هذه المعاهدة تم توسيع الاستقلال الداخلي لإمارات رومانيا وصربيا، كما تقرر عدم وجود أي مسلم محلي في قلاع صربيا ماعدا جنود الجيش التركي، ينتخب الباب العالي بكوات الأفلاق والبغدان من بين أشراف الرومان، ويعين الباب العالي هؤلاء الأمراء لمدة ٠٧ سنوات، وليس له الحق تغيرهم مالم تكن هناك أسباب جدية[٦٦] أن يكون لروسيا حق الملاحة في البحر الأسود، بدون أن يكون للدولة العثمانية حق في تفتيش سفنها[٦٧]، وقد توعد السلطان العثماني من خلال هذه المعاهدة باختصار شديد على ما يلي[٦٨]:

- بمنع قراصنة المغرب من تعطيل التجارة الملاحة بأي حجة كانت، فإذا حصل منهم تعدي بدون علم الباب العالي فإنه يقوم بإعادة جميع المأخوذات التي استولى عليها أولئك القراصنة، وبدون تأخير، وأن يعوض الرعايا الروسين ما لحقهم من خسائر، وأن يحرر بهذا الصدد فرمانًا صارمًا إلى بلاد المغرب بحيث لا يتكرر ذلك مرة ثانية، وفي حالة لم ينفذ مفعول هذا الفرمان فيدفع مقدار التعويض من الخزينة الملوكية في مدة شهرين[٦٩] وهو نفس الشرط الذي نصت عليه معاهدة باش حيث أصدر السلطان سليم الثالث إلى مصطفى باشا في ٠٢ أكتوبر ١٨٠٧م[٧٠].
- وألا يتسبب في إحداث العراقيل في طريق ملاحة السفن التجارية الحاملة للعلم الروسي في كُل بحار ومياه المملكة العثمانية وبدون استثناء، مع احترام ركاب هذه السفن.

وبعد توقيع الدولة العثمانية على هذه المعاهدة بشروط مجحفة، والتي لا يمكن قبولها إلا بعد هزيمة عسكرية فادحة، فعلى الرغم من ذلك فلم يكن ممكنًا إرضاء روسيا إلا بحصولها على مكاسب كثيرة، غير أن العمليات التي قامت بها القوات المصرية، والتي كادت أن تستولي على أخر معقل للثوار اليونانيين، وتقضي نهائيًا على الثورة فشلت هي الأخر بسبب تدخل الدول الأوروبية، وكانت السبب في إجهاضها من خلال اتفاقها على رأي واحد[٧١].

ثالثًا: معركة نافرين ١٨٢٧ وانعكاساتها

قوبل إخماد الثورة اليونانية بالاستياء في أوروبا، حيث وقعت الدول الكبرى: روسيا وفرنسا وإنجلترا على اتفاقية لندن في ٠٦ جويلية ١٨٢٧م، وقرروا الضغط على الباب العالي لصالح اليونان لأنهم كانوا يريدون تأسيس إمارة يونانية مستقلة ذاتيًا مرتبطة بالدولة العلّية، تدفع الضريبة مثل صربيا وأفلاق والبغدان، فاشتركت إنكلترا في الاتفاقية دون رغبة منها، فقد كانت الطبقة المثقفة في إنجلترا تريد مشاهدة دولة يونانية مستقلة، إضافة إلى أن إنجلترا كانت تخشى استفادت روسيا من ضعف الدولة العثمانية، وفي نفس الوقت لم تشأ أن تترك منافستيها فرنسا وروسيا كحاميتين لليونان تنفردان بتسيير القضية اليونانية[٧٢]، فعرضت إنجلترا رسميًا في ٠٥ فيفري ١٨٢٧م على الدولة العلية توسط جميع الدول بينها وبين متبوعيها، فلم تقبل ذلك، بل أجابت السفير الإنجليزي بتاريخ ١٠ جوان ١٨٢٧م بعد تفكير عميق، وتروي في عاقبة هذا التدخل أنّها لم تسمح ولن تسمح به مطلقًا، فاغتاظت الدول الأوروبية من هذا الجواب، واتفقت كل من فرنسا وإنجلترا وروسيا بمقتضى معاهدة لندن سابقة الذكرى على إلزام الباب العالي بالقوة بمنح اليونان استقلالها الإداري بشرط أن يدفع اليونانيين جزية معينة يتفق على مقدارها فيما بعد كما يتفق على حدود الفريقين، وأمهل الوفاق الأوروبي الباب العالي شهرًا لإيقاف الحركات العدوانية، وإلا تضطر الدول الأوروبية لاتخاذ طرق أخرى لتحقيق ذلك، لكن السلطان العثماني رفض، وأصّر على رأيه، وبعد انقضاء الشهر المحدد أصدرت الدول الثلاث أوامرها إلى قواد أساطيلها التوجه لسواحل اليونانية، وطلبت بعد ذلك من إبراهيم باشا الكف فورًا عن القتال، فأجابهم أنه لا يتلقى أوامرًا إلا من سلطانه أو أبيه، ومع ذلك فإنه قبل إيقاف الحرب مدة عشرين يومًا ريثما تأتيه تعليمات جديدة، فاجتمعت سفن دول الثلاث في ميناء نافرين لمنع السفن العثمانية والمصرية من الخروج[٧٣].

١/٣-أحداث المعركة:

تنفيذًا لاتفاق لندن الموقع في ٠٦ جويلية ١٨٢٧م، والذي أسفر عن تشكيل ما يعرف بالحلف الثلاثي بين الدول الثلاث التي أصبحت أطرافًا معنية بالقضية اليونانية بعد أن تعهدت بالعمل على إرغام السلطان العثماني على وقف الحرب، وتحقيق الاستقلال الذاتي لبلاد اليونان كما نص على ذلك بروتوكول ٠٧ أكتوبر١٨٢٧م، وقد أعطيت القيادة في هذه العملية المشتركة للقائد الأميرال الإنجليزي كوردانغتون Cordrington[٧٤]، وكانت المجموعة الفرنسية بقيادة الأميرال ريني، الروسية تحت إمرة هيدن، وتم اختيار القائد الإنجليزي سابق الذكر قائدًا عامًا لأقدميته في الوظيفة[٧٥].

ففي ميناء نافرين الحصين وأمام دفاعات قاعدته العسكرية تجمعت السفن الإسلامية، واتخذت أماكنها على شكل خط دفاعي اصطفت فيه على هيئة حدوة حصان أيام ٨و ٩و ١٠ أكتوبر ١٨٢٧م، واكتملت تنظيماتها النهائية يومي ١٤و١٥ من نفس الشهر حسب ما ورد في مذكرات الضابط الفرنسي بومبارد Bombard ، وقد بلغ عدد هذه السفن ٦٢ سفينة مسلحة بـ ٢١٠٢ مدفع، وتحمل ما بين ١٧٥٠٠ و ٢١٩٦٠ جنديًا وبحارً بالإضافة إلى بطاريات المدافع المنتصبة فوق حصون ميناء نافرين، والتي كانت موجهة للسفن الأوروبية، ومما يلاحظ أن هذ العدد الكبير من السفن الإسلامية، كان أغلبه من مصر بينما شاركت الجزائر بعدة سفن قدرت المصادر المتوفرة عددها بستة سفن كما سبقت الإشارة في بيان المساهمة الجزائرية في معركة نافرين، وفي المقابل كانت القطع الحربية للحلف الأوروبي تأخذ مواقعها غير بعيدة من السفن العثمانية تحت قيادة الأميرال الإنجليزي كوردان عتون، كل هذا الحشد من السفن الإسلامية والأوروبية اجتمعت عشية ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧م بمياه نافرين، لمنع وصول المؤن إلى مورة[٧٦]حيث ظهرت السفن البحرية عند مدخل الميناء وتجاوزت مرمى بطاريات المدافع في الساعة الواحدة بعد الظهر من نفس اليوم، وتقدمت في صفين متراصين أحدهما مكون من السفن الإنجليزية الفرنسية، والآخر من السفن الروسية، وفي الوقت الذي فيه السفن الإنجليزية والفرنسية ميناء نافرين ، كانت السفن الروسية تقترب من مدخل الميناء، وعندها أطلقت النيران من إحدى السفن الإسلامية فأصيب الملازم الأول الإنجليزي فتزروي Fitz-Roy بعيار ناري قاتلثم تلتها طلقة أخرى من سفينة مصرية أصابت إحدى الفرقاطات الفرنسية حسبما أوردته شهادة الجنرال الروسي بوجيانوفيتش بعدها بدأ تبادل إطلاق النار من الجانبين، واحتدمت المعركة ثلاث ساعات أو أربع، دمرت أثناءها أغلب السفن الإسلامية، ولم ينجو منها سوى فرقاطة واحدة وحوالي خمسة عشرة سفينة صغيرة تضرر بعضها بفعل طلقات المدفعية بينما قدر عدد القتلى بحوالي ألف من الأوروبيين، وبأكثر من ستة آلاف من المسلمين، وقد مكثت السفن الأوروبية حوالي أسبوع بعد انتهاء المعركة، دمرت فيها أغلب السفن الإسلامية، بما فيها السفن المصرية والجزائرية ولم تنج من السفن هذه الأخيرة سوى سفينة مفتاح الجهاد والتي لحقت بها عدة أشرار فتوجهت إلى الإسكندرية وهذا ما تؤكده الرسالة التي بعثها القائد السفينة مصطفى رايس إلى حسين باشا[٧٧]، وأما السفن التونسية فلم تنجوا منها أي سفينة، كما تؤكد رسالة بعثها محمد قبطان قائد سفينة التونسية في الحرب اليونانية إلى حسين باشا وإلى تونس في نوفمبر ١٨٢٧م، والتي احتوت على تفاصيل معركة نافرين، كما تضمنت معاناة الجنود التونسيين بعد تحطم سفنهم في المعركة، وطلب فيها إرسال سفن أخرى لإعادتهم إلى تونس[٧٨]فلم ينجُ من السفن الإسلامية سوى فرقاطة واحدة وحوالي خمسة عشر سفينة صغيرة تضرر بعضها بفعل طلقات المدفعية، بينما قدر عدد القتلى بحوالي ألف من الأوروبيين، وبأكثر من ستة آلاف من المسلمين[٧٩].

ولما رأى إبراهيم باشا تألب الدول الأوروبية ضد الدولة العلّية، وأن فرنسا أمرت بإرسال جيش عظيم لمحاربته قام في ٠٣ أوت ١٨٢٨م بناءً على أوامر والده مع الدول المتحدة على إخلاء مورة، والرجوع إلى مصر مع ما تبقى من السفن المصرية[٨٠]، وقد مكثت السفن الأوروبية بميناء نافرين حوالي أسبوع بعد انتهاء المعركة لتنسحب يوم ٢٦ أكتوبر ١٨٢٧م، بعدها عقد إبراهيم باشا هدنة مع الأميرال الإنجليزي مكنته من سحب قواته من نافرين في ربيع عام ١٨٢٨م، وتسليم تحصينات الميناء إلى الجنرال الفرنسي ميزون، الذي أوكل له حكم قاعدة نافرين مؤقتًا، فلم يتوان في تقديم الدعم والمساعدة للثوار اليونان، مما مكنهم من تحرير كامل المورة في ظرف شهرين قبل أن يتم الفرنسيون انسحابهم من المنطقة في شهر أوت من سنة ١٨٢٩م[٨١].

وتعود أسباب انهزام القوات الإسلامية إلى نقص عتاد وتجهيزات السفن الإسلامية، وافتقار المهارة والتدريب للجنود المشاركين في المعركة مقارنة

بتجهيزات السفن الأوروبية ونوعية التدريب الذي كانوا يتوفرون عليه، كما يعود سبب الهزيمة إلى المكان الغير الملائم الذي جرت فيه المعركة، فوجود السفن الإسلامية متراصة بميناء نافرين وعدم تمكنها من المناورة أو الحركة سهل على القطع الأوروبية أكبر عدد منها في وقت قصير، ومما زاد في خسائر المسلمين وجود تعليمان صارمة لقادة السفن الأوروبية بالدخول مباشرة في المعركة دون تردد، في حالة إطلاق النار عليهم، بينما السفن الإسلامية لم تعطي لها أيّة تعليمات في هذا الشأن من طرف قادتها (طاهر باشا وقبطان باي ومختار باي) رغم تحمس بعض جنودها ومبادرتهم بتوجيه طلقات انفرادية للسفن الأوروبية، تلك الطلقات التي كانت بمثابة الحجة لقادة السفن الأوروبية لتنفيذ خطتهم في القضاء على القوة الإسلامية البحرية المتواجدة أمامهم كما أن وجود ضباط فرنسيين متعاونين على متن السفن المصرية زاد الحال سوء لترددهم في الدخول في اشتباك مع سفن بلادهم المواجهة لهم لا سيما بعد أن وجه قائد السفن الفرنسية الأميرال دورينـي De Rigny إلى هؤلاء المتعاونين من الفرنسيين في سفن محمد علي رسالة جاء فيها: "إلى سيادة لوتوليه Letellier، وبومبار Bombarad والضباط الفرنسيين العاملين بإستنبول التركي... إن الوضعية التي هي عليها الآن القوات البحرية العثمانية المحاصرة في ميناء نافرين، وعدم احترام إبراهيم باشا لتعهده بالكف مؤقتًا عن الأعمال الحربية كل هذا يظهر لكم بأنكم في وضعية تجعلكم في مجابهة علمكم الوطني، وأنتم تعرفون مدى المجازفة في مثل هذه الحالة ، ولهذا ندعوكم أن تتركوا الخدمة عند الأتراك في حالة إذ أقدم الأسطول العثماني على أعمال حربية معادية ..."[٨٢].

٢/٣-موقف الدولة العثمانية من معركة نافرين:

لما وصل خبر هذه الحادثة التي حصلت بدون إعلان حرب كما هي العادة بين الدولة المتمدنة إلى الباب العالي أرسل بلاغًا إلى سفراء هذه الدول الثلاثة[٨٣]يتضمن احتجاجه على الهجوم الذي قامت به أساطيل دولهم رغم عدم وجود حرب أو توتر، واعتبر هذا العمل مخالفًا للقوانين الدولية[٨٤]، ويطلب فيه أن تمتنع الدول كليةً عن التدخل في شؤون المماليك المحروسة، وأن تدفع له تعويضًا عن الخسائر التي نجمت عن تدمير المراكب العثمانية، فلم يرد هؤلاء السفراء على هذا البلاغ، بل قطعوا علاقاتهم مع الباب العالي، ونزلوا إلى مراكبهم مسرعين في ٠٨ ديسمبر ١٨٢٧م، وفي ١٨ من نفس الشهر نشر السلطان في جميع الولايات منشورًا عامًا يبين مقاصد الدول عمومًا، وروسيا خصوصًا نحو الدولة العثمانية، مثبتًا للأهالي على أن الباعث على هذا العدوان الدين لا السياسة، وختمه يحض المسلمين على القتال دفاعًا عن الدين والملة والوطن، فاغتاظت روسيا على ذلك، وأعلنت الحرب على الدولة في ٢٦ أفريل ١٨٢٨م، ولما عقدت الدول الثلاث مؤتمرًا في مدينة لندن لتقرير مصير اليونانيون، ودعت إليه الدولة العثمانية، فأبت هذه الأخيرة عن إرسال مندوب من طرفها حتى لا يُعد ذلك إقرارًا منها على ما يُتفق عليه في هذا المؤتمر، وتقديم يد العون لليونانيين من أجل حصولهم على الاستقلال، وتحطيم القوات الإسلامية في نافرين[٨٥].

٣/٣-انعكاسات معركة نافرين على العلاقات الدولية في البحر الأبيض المتوسط:

أسفرت معركة نافرين على نتائج بالغة الأهمية بتطور الأحداث في منطقة البحر الأبيض المتوسط وهي كالآتي:

لقد أفرزت وأوجدت وضعًا دوليًا سمح للدولة القيصرية بإطلاق يدها في الدولة العثمانية لجني ثمار مشروعها التوسعي على حساب ممتلكات العثمانية[٨٦]، إذ بادر نقولا الأول إلى نقض معاهدة أكرمان بحجة مهاجمة السفن العثمانية للقطع الروسية في معركة نافرين[٨٧]، واستغلت روسيا قيام السلطان العثماني بقطع علاقاته مع فرنسا وبريطانيا، وإعلانه الجهاد كاحتجاج على معركة نافرين، بإعلان الحرب على الدولة العثمانية في أفريل ١٨٢٨م[٨٨]، فاجتازت قواتها نهر بروث الذي يفصل روسيا عن الدولة العثمانية، واحتلت على الأفلاق والبغدان، كما احتلت قلاع قارص في آسيا، وقد أثبتت رسالة الحاج حسين باشا داي الجزائر في أزمير إلى حسين باشا تدهور العلاقات بين الدولة العثمانية ودول أوروبا بتاريخ ٠٣ أفريل ١٨٢٧م، كما حملت في طياتها أخبار نشوب حرب بين الدولة العثمانية وروسيا[٨٩] التي حاولت أن تسيطر على الأمر وتكون صاحبة حصة الأسد، ولكي تمنع بريطانيا روسيا من السيطرة على القضية اليونانية دعت إلى عقد اجتماع في لندن في مارس ١٨٢٩م حضرته فرنسا وبريطانيا، وأسفر عن توقيع معاهدة لندن الثانية، والتي نصت بأن تصبح اليونان دولة تتمتع بالحكم الذاتي تحت السيادة العثمانية، ولم رفض السلطان هذه المعاهدة تقدمت القوات

الروسية إلى أدرنة العثمانية، فوقفت على أبواب القسطنطينية، فوافق محمود الثاني على الدخول في مفاوضات مع روسيا أسفرت عن توقيع اتفاقية أدرنة[٩٠] في ١٤ سبتمبر ١٨٢٩م، والتي نصت على ما يلي[٩١]:

- تمنح اليونان الاستقلال بموجب اتفاقية لندن الأولى سنة ١٨٢٧م، وتحدد حدود الدولة الجديدة بموجب اتفاق لاحق مع الدول الثلاث الموافقة على الاتفاقية، كما تعترف الدولة العثمانية باتفاقية لندن الثانية الموقعة في ٢٢ مارس سنة ١٨٢٩م.
- يصبح لروسيا والدول التي لا تكون الدولة العثمانية في حالة حرب معها حق الملاحة في البحر الأسود، وحتى البر المتوسط عبر البسفور والدردنيل دون تفتيش الدولة العثمانية لسفنها.
- تصبح إمارة الأفلاق والبغدان تحت السيادة، ويعين أمرائها مدى الحياة، ولا يعزلون إلا بموافقة روسيا، والدولة العثمانية، كما تتمتعان بالحكم الذاتي.
- تمنح صربيا الاستقلال الذاتي المنصوص عليه في اتفاقية أكرمان.
- تدفع الدولة العثمانية تعويضات لروسيا، وتنسحب القوات الروسية من الأفلاق والبغدان تدريجيًا بالتوازن مع دفع التعويض.
- يتمتع رعايا روسيا بحق التجارة في سائر أنحاء الدولة العثمانية دون قيد أو شرط، ويخضع التجار الروس لسلطة قناصل دولتهم فقط.

وفي ٠٣ فيفري ١٨٣٠م ثم توقيع اتفاق ثلاثي جديد في لندن نص على استقلال اليونان عن الدولة العثمانية استقلال تامًا مع تخطيط الحدود اليونانية، واعترف السلطان العثماني بهذا الاستقلال في ٣٠ ماي ١٨٣٠م، وتم إعلان اليونان كدولة مستقلة بزعامة الأمير أوتو[٩٢] ملك بفاريا[٩٣].

ساعدت معركة نافرين على استفحال المد القومي بدول البلقان، وامتداده إلى القوميات الأخرى مثل الصرب التي تأثرت بالماضي التاريخي ومساندة روسيا لها، بالإضافة إلى دور الكنيسة الأرثوذكسية في التوجيه والنصح بالانفصال النهائي عن الإمبراطورية العثمانية، كما أوضحت معركة نافرين الدور العملي والسياسي لمحمد علي باشا في تسير شؤون الدولة العثمانية، ومدى قدرته على التأثير في مسار ومعطيات الأحداث الدولية بمنطقة الشرق[٩٤]، كما أدت إلى انحلال وتفكك الحلف المقدس بين الدول الأوروبية الذي أقره مؤتمر فيينا ١٨١٥م[٩٥]، وأصبح أساس السياسة الأوروبية في العلاقات الدولية، وعلى هذا الأساس لم يصبح للشرعية الدولية مكانة تذكر على الآمال والأماني القومية، وفي نفس الوقت طموحات ومطالب الشعوب قبل مصالح الدول، وهو ما أمكن على إحداث التغير بالنسبة للأوضاع السياسية بين الدول الأوروبية، ونتيجة التطورات التي حدثت في مواقف الدول الأوروبية تجاه الدولة العثمانية أدت إلى إحداث تضارب في المصالح، فمعارضة فرنسا وبريطانيا للسياسة الروسية إزاء الدولة العثمانية التي ركزت على التوسع العسكري هدفة الوصول إلى المضائق والبحار الدافئة، سوف تكون خطر على المبادلات التجارية، وتهدد المواصلات الدولية التي تربط الدول الأوروبية بالهند والبلدان الشرق الأقصى، وبالتالي يصبح شرق أوروبا وشبه جزيرة البلقان منطقة حماية ووصاية روسية في إطار جامعة الشعوب السلافية، فنتج عن ذلك اختلال في التوازن الدولي[٩٦].

- كان لمعركة تأثير سلبي على الولايات العثمانية العربية وخاصةً الجزائر؛ لأن هذه الأخيرة كانت معرضة للخطر الأوروبي باعتبارها تشكل قوة إسلامية في غرب البحر المتوسط، وأنها كانت تهدد مصالح هذه الدول، فكانت في أشد حاجة إلى قواتها البحرية لتتصدى للاعتداءات، وتقف في وجه التحرشات الأوروبية عامة وبالأخص الفرنسية منها، في الوقت الذي كان فيه حوالي ربع قواتها البحرية بالمياه اليونانية بجانب الأسطول العثماني والمصري، كما أن تحطم أغلب السفن العثمانية في المعركة حال دون تقديم الباب العالي أي مساعدة في تصديها للحصار البحري ومواجهتها للغزو الفرنسي، سنة ١٨٣٠م، والذي كان بداية مخطط استعماري كانت معركة نافرين إحدى مراحله الأولى[٩٧].

خَاتِمَةٌ

كانت القومية في الإمبراطورية العثمانية مستوردة فلسفيا من غرب أوروبا لكن تطورها داخل الإمبراطورية العثمانية كان مختلفا حيث كانت بذورها وبواعثها أكثر ارتباطا بالفكرة العثمانية عن أمة معرفة دينيا من القومية العرقية في أوروبا الغربية، فبدأت قصة خسائر العثمانية لمصلحة القومية الجديدة في القرن التاسع عشر بالثورة اليونانية ١٨٢١م، وقد كانت أولى الحركات الّتي حدّدت هويتها بقتل وطرد المسلمين من أرضيهم، فقدمت الثورة اليونانية نموذجًا اتبعته الثورات قومية لاحقا ضد العثمانيين،

وضحت الحرب التي كانت بين الدولة والعثمانية ويونان الدور الذي لعبته كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا على الساحة الدولية من أجل إضعاف الدولة العثمانية والعمل على تفكيكها من خلال تقديم الدعم الكامل للثورات التي قامت ضدها، في حين أنها عملت على قمع وإخماد كل الثورات التي قامت في أوروبا ضد السلطة الحاكمة مثل الصورة الإسبانية والإيطالية والبلجيكية.

الهَوامِشُ:

(١) نينل الكسندروفنا دولينا، **الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في الثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر**، تر: (أنور محمد إبراهيم)، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩، ص ١٥٣.

(٢) **البلقان**: كلمة تركية معناها الجبل تضم ألبانيا وبلغاريا واليونان والقسم الأوروبي من أراضي تركيا (تراقيا)، والبوسنة والهرسك ومقدونيا وأجزاء من كرواتيا وسلوفينيا ويوغوسلافيا.

(٣) للاطلاع أكثر حول معاملة الدولة العثمانية للأقليات انظر: كمال السعيد حبيب، **الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية (٦٢٢م- ١٩٠٨م)**، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٣٩٤-٤١٣.

(٤) حقي العظم، **تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان**، ط١، مطبعة الترقي، مصر، ١٩٠٢، ص٥- ٦.

(٥) هي شبه جزيرة، تقع في اليونان.

(٦) أكمل الدين إحسان أوُغلي، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، تر: (صالح شعباوي)، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ١٩٩٩، ص ٩١- ٩٢.

(٧) محمد قاسم وحسين حسني، **تاريخ القرن التاسع عشر**، د.ط، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٤، ص١٣٧.

(٨) المرجع نفسه، ص ١٣٧.

(٩) المرجع نفسه، ص ١٣٧.

(١٠) محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العَلِيّة العثمانية**، تحقيق إحسان حقيّ، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨١، ص ٤١١.

(١١) أكمل الدين إحسان أوُغلي، المرجع السابق، ص ٩٢.

(١٢) **الميثولوجيا**: ويقصد بها علم الأساطير القديمة.

(١٣) المرجع السابق، ص ٩٢.

(١٤) نور الدين حاطوم، **تاريخ الحركات القومية (يقظة القوميات الأوروبية)**، ط٢، دار الفكر، مصر، ١٩٧٩، ج١، ص ١٤١- ١٤٣.

(١٥) المرجع نفسه، ص ١٤٤.

(١٦) المرجع نفسه، ص ١٤٤- ١٤٥.

(١٧) **الحنطة:** هي حبوب نشوية شبيهة بالقمح، يزرعها الفلاحون في المناطق الجافة والجبلية حيث لا ينمو القمح عادة.

(١٨) المرجع نفسه، ص١٤٥- ١٤٦.

(١٩) **الماسونية: هي** منظمة سرية محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وجمع أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم، يوثقهم عهد بحفظ الأسرار ويجتمعون بما يسمى **بالمحافل** للتخطيط والتكليف بالمهام، لم يعرف التاريخ منظمة سرية أقوى نفوذًا من الماسونية، فلها محافل في كل أنحاء العالم تقريبًا، حيث تستقطب هذه المحافل الشخصيات المؤثرة في كل بلد لضمان سيطرتها عليه، وهي تسيطر على بعض الجمعيات والمنظمات الدولية ومنظمات الشباب، وبعض وسائل الإعلام ودور النشر والصحافة في العالم، وبيدها الكثير من موارد الاقتصاد ووسائل الإنتاج في العالم. للمزيد عنها

انظر: عبد الرحمان الدويري، **اليهودية والماسونية**، ط١، دار السنة، القاهرة، ١٩٩٤.

(٢٠) **أوديسا:** ميناء بحري في أوكرانيا، يقع في الجنوب الغربي لساحل أوكرانيا، بالقرب من الحدود الرومانية، على البحر الأسود، على بعد ٥١كم جنوب غرب نهر دنيبر.

(٢١) **بوخارست:** هي عاصمة رومانيا وأكبر مدنها، تعتبر المركز الرئيسي للدولة في التجارة والثقافة، تقع جنوب شرق يرومانيا على نهر ديمبوفيتا.

(٢٢) نور الدين حاطوم، المرجع السابق، ص ١٤٦.

(٢٣) يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر: عدنان محمود سليمان ومحمود الأنصاري، ط١، منشورات فيصل للتمويل، استنبول – تركيا، ج٢، ص ٦٥٥.

(٢٤) سَيِّد محمد السَّيِّد، **دراسات في التاريخ العثماني**، ط١، دارة الصحوة للنشر، القاهرة ـ مصر، ١٩٩٦، ص٢٥٠.

(٢٥) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ٤٠٣.

(٢٦) إبراهيم بك حليم، **تاريخ الدولة العلية (التحفة الحلميّة)**، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٠٧.

(٢٧) **عيد الفصح:** من أهم أعياد النصارى السنوية، وهو احتفاء بعودة المسيح أو قيامته بعد صلبه، كما يعتقدون.

(٢٨) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ٤٠٣.

(٢٩) **حرب العصابات:** تعبير يطلق على نمط من القتال، تقوم به مجموعة صغيرة من المحاربين، وترتكز استراتيجية هذه الجماعة على الهجوم المباغت.

(٣٠) أكمل الدين إحسان أوُغلي، المرجع السابق، ص٩١.

(٣١) هو ثائر صربي ولد بمدينة بلغراد سنة ١٧٧٠م، واسمه جورج بتروفتش، ولقب بـ قره جورج أي الأسود، وهو أول من جمع كلمة الصربيين على مقاومة الدولة العثمانية وطالب بالاستقلال، وطرده الأتراك سنة ١٨١٣م فهاجر إلى روسيا حيث أكرمته حكومتها وعينته قائدًا في جيوشها، وينسب إليه أنه قتل أباه وأخاه بمجرد أنهآنس منهم الميل إلى الدولة العثمانية. انظر: محمد فريد بك، المصدر السابق، ص٣٨٤.

(٣٢) كلمة يونانية معناها جمعية أخوية.

(٣٣) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، **الدولة العثمانية المجهولة ٣٠٣ سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية**، إسطنبول، ٢٠٠٨، ص٣٩٣.

(٣٤) علي محمد محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل نهوض وأسباب السقوط**، ط١، دار التوزيع والنشر الإسلامي، مصر، ٢٠٠١، ص٥٩٥- ٥٩٦.

(٣٥) المرجع نفسه، ص 326.

(٣٦) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص٣٩٤.

(٣٧) المرجع السابق، ص ٣٩٤.- انظر نص الرسالة أيضًا: علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص٥٩٤- ٥٩٥.

(٣٨) المرجع نفسه، ص ٣٩٤.

(٣٩) أكمل الدين احسان أوُغلي، المرجع السابق، ص ٩٤.

(٤٠) أحمد آق كوندز و سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص٣٩٤- ٣٩٥.

(٤١) أمال السّبكي، **أوروبا في القرن التاسع عشر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٩، ص ص١٩٦- ١٩٧.

(٤٢) أمال السّبكي المرجع السابق، ص ص١٩٧- ١٩٨.

(٤٣) المرجع نفسه، ص١٩٨.

(٤٤) روبير مانتران، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر: بشير السباعي، ط١، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٣٧.

(٤٥) أكمل الدين إحسان أوُغلي، المرجع السابق، ص ٩٣.

(٤٦) المرجع السابق، ص ٩٣- ٩٤.

(٤٧) ممدوح نصّار وأحمد وهبان، **التاريخ الدبلوماسي والعلاقات السياسية بين القوى الكبرى ١٨١٥- ١٩٩١**، ص٦١- ٦٢.

(٤٨) **سانت بطرسبرج:** هي ثاني كبريات مدن روسيا، وكانت تسمى لينينغراد.

(٤٩) محمد قاسم وحسين حسني، المرجع السابق، ص ١٣٩.

(٥٠) ممدوح نصّار وأحمد وهبان، المرجع السابق، ص ٦٢.

(٥١) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص٤١٤.- انظر أيضًا: المكتبة الوطنية الجزائرية، مج ٣٢٠٤، الملف الأول، الوثيقة ٠٨.

(٥٢) أكمل الدين إحسان أوُغلي، المرجع السابق، ص٩٤.

(٥٣) **كريت:** هي جزيرة يونانية في البحر الأبيض المتوسط، تبلغ مساحتها 8336كم²، وهي أكبر جزر اليونان، وعاصمتها خانيا.

(٥٤) أكمل الدين إحسان أوُغلي، المرجع السابق، ص ٤٢.

(٥٥) مدينة بحرية يونانية تقع في شبة جزيرة مورا، قليلة السكان، اشتهرت بتدمير الدول الأوروبية المتحالفة للأساطيل المصرية والعثمانية والجزائرية سنة ١٨٢٧م.

(٥٦) تقع في نهاية الخليج الغربي شمال شبه جزيرة مورا.

(٥٧) تقع وسط جزيرة مورا.

(٥٨) تقع في رأس الخليج شمال جزيرة مورا.

(٥٩) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص٤١٥.

(٦٠) حقي العظم، **تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان**، ط١، مطبعة الترقي، مصر، ١٩٠٢ ص ١٤.

(٦١) يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ج١، ص ٦٧٥.

(٦٢) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ٤١٦.

(٦٣) المكتبة الوطنية الجزائرية، مج ٣٢٠٤، الملف الأول، الوثيقة ٢٤.

(٦٤) **نقولا الأول** (1796-1855): كان قيصرًا لروسيا من عام ١٨٢٥م حتى وفاته.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ٤١٧.

(٦٦) يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ج٢، ص ٠٩.

(٦٧) محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)**، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠، ص ١٦٥.

(٦٨) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ٤٢٠-٤٢١.

(٦٩) أكمل الدين إحسان أوُغلي، المرجع السابق، ص ٩٤.

(٧٠) المكتبة الوطنية الجزائرية، مج ٣٢٠٤، الملف الأول، الوثيقة ٠٤.

(٧١) أكمل الدين إحسان أوُغلي، المرجع السابق، ص ٩٤.

(٧٢) يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ج٢، ص ١٠.

(73) M. De Pradt, Question De L'orient Sous Ses Rapports Généraux Particuliers, A La Libraire De Roret, Paris, 1836, P 179.

(٧٤) ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تـــاريخ الجزائـــر في العهـــد العـــثماني**، ط١، دار الغـــرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠، ص٣٥٩- ٣٦٠.
(٧٥) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص٣٢٧.
(٧٦) المكتبة الوطنية الجزائرية، مج ٣٢٠٤، الملف الأول، الوثيقة ٣٩.
(٧٧) المكتبة الوطنية الجزائرية، مج ٣٢٠٤، الملف الأول، الوثيقة ٣٠.
(٧٨) المكتبة الوطنية الجزائرية، مج ٣٢٠٤، الملف الأول، الوثيقة ٢٩.
(٧٩) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص٣٦٤.
(٨٠) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ٤٢٨
(٨١) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص٣٦٤.
(٨٢) المرجع نفسه، ص ٣٦٥.
(٨٣) محمد فريد بك، المرجع نفسه، ص ٤٢٨.
(٨٤) أكمل الدين إحسان أوُغلي، المرجع السابق، ص ٩٥.
(٨٥) محمد فريد بك، المرجع السابق، ص٤٢٨- ٤٢٩.
(٨٦) عبد القادر مولاي، المرجع السابق، ص ١٧٨.
(٨٧) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ٣٦٥.
(٨٨) **المكتبة الوطنية الجزائرية**، مج ٣٢٠٤، الملف الأول، الوثيقة ٣٧، المصدر السابق.
(٨٩) **المكتبة الوطنية الجزائرية**، مج ٣٢٠٤، الملف الأول، الوثيقة ٣٧.
(٩٠) **أدرنة:** مدينة تركية قديمة، تعرف رسميًا بأدريانوبل، وتقع في الـركن الشـمالي الغـربي مـن تركيـا، قـرب الحـدود البلغارية.
(٩١) السيد محمد سليم، المرجع السابق، ص ٧٧.
(٩٢) **أوتو الأول (**١٨١٥-١٨٦٧**):** أمير بافاري أصبح أول ملك على اليونان بعد أن استقلت عن الدولة العثمانية عام ١٨٣٠م.
(٩٣) المرجع السابق، ص78.
(٩٤) عبد القادر مولاي، المرجع السابق، ص ١٧٨-١٧٩.
(٩٥) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ٣٦٧.
(٩٦) عبد القادر مولاي، المرجع السابق، ص ١٧٩.
(٩٧) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ٣٦٨-٣٦٩.